JQSS – Journal of Quran Sunnah Education and Special Needs
Vol. 6 June 2022, no. e-ISSN 2590-3799

القيم التربوية للحوارات الزوجية في القرآن الكريم

(Educational Values of Marital Dialogues in the Holy Quran)

Ahmed Abedalqader Hasan Qatanany
Fakulti Pengajian Quran dan Sunnah, Universiti Sains Islam Malaysia

Article Progress
Received: 15 April 2022
Revised: 28 April 2022
Accepted: 12 May 2022

الملخص

يهدف هذا البحث من خلال استقراء آيات القرآن الكريم إلى استنباط القيم التربوية؛ لأهميتها في حياتنا وواقعنا المعاصر، سواء منها الإيمانية أو الأخلاقية أو الإنسانية أو الاجتماعية، وذلك من خلال دراسة الحوارات التي دارت بين الأزواج ، والتي قدمها القرآن الكريم كنماذج، منها الإيجابية؛ من أجل الاقتداء بها في التطبيق السليم للحوار والتخلق بالقيم، ومنها نماذج أخرى سلبية لم تلتزم بالحوار ولا بالقيم؛ من أجل التنفير والتحذير منها، ولهذا السبب استخدم الباحث المنهج الاستقرائي التحليلي. وحاول البحث التركيز على دور الأسرة في تطبيق القيم الحوارية والتخلق بها، ومن ثم غرسها وتنميتها في أفرادها؛ لخلق أسرة وجيل مؤمن بالحوار قناعة وممارسة، وقد كان من أهم نتائج هذا البحث التأكيد على أن امتلاء القرآن الكريم بالحوارات الأسرية، يدل على اهتمام القرآن بالحوار كمبدأ إنساني، ويدل على اهتمام القرآن بتماسك الأسرة والتزامها بالقيم والأخلاق، وكان من توصيات الدراسة حث الدعاة والأئمة والخطباء أن يركزوا في دروسهم ومواعظهم وخطبهم على تثبيت مبدأ الحوار الأسري، والاهتمام بالقيم وغرسها في نفوس أبناء الأسر المسلمة.

الكلمات الدالة: القيم، التربية، الحوار، الحوار الزوجي.

Abstract

The aim of this research, by extrapolating the verses of the Noble Qur'an, is to elicit educational values; Because of their importance in our lives and our contemporary reality, whether they are faith, moral, humanitarian or social, through the study of the dialogues that took place between spouses, which the Holy Qur'an presented as models, including the positive ones; In order to emulate it in the proper application of dialogue and the creation of values, including other negative models that did not adhere to dialogue or values; In order to alienate and warn against it, and for this reason, the researcher used the inductive-analytical method. The research tried to focus on the role of the family in the application of dialogue values and the creation of them, and then instilling and developing them in its members; To create a family and a generation that believes in dialogue as conviction and practice, and one of the most important results of this research was to confirm that the Holy Qur'an is full of family dialogues, indicating the Qur'an's interest in dialogue as a humanitarian principle, and indicates the Qur'an's interest in family cohesion and its commitment to values and morals. To focus in their lessons, sermons and sermons on establishing the principle of family dialogue, and paying attention to values and instilling them in the hearts of the children of Muslim families.

Keywords: Education, Values, Dialogue, Marital Dialogue.

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه، وبعد: فإن القرآن الكريم، كتاب هداية وقيم، ومنهج إلهي رباني يعلم الناس على اختلاف أجناسهم ومشاربهم وعقائدهم طرق التواصل والتعايش؛ من أجل بناء علاقات إنسانية سليمة وسوية، تقوم على السلام بين الأفراد والشعوب والأسر والعائلات، وتعلي من شأن الأخلاق والقيم في النفوس.

وإن من أهم الوسائل والأساليب التي من شأنها تحقيق ذلك: الحوار؛ فإذا كان الله عز شأنه حاور ملائكته في شأن أول مخلوق أرضي –وهو آدم عليه السلام– فهذا دليل على أن الحوار ليس منهجا طارئا مؤقتا محدودا بأشخاص أو أزمنة أو أمكنة معينة، بل هو منهج دائم ومستقر، ومهم وضروري، نشأ مع بداية الخلق، ويجب أن يستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، في جميع الأوقات والأماكن، ومع جميع من خلق الله في هذه الحياة.

وقد امتلأ القرآن الكريم بالنماذج الحوارية في مجالات شتى، وقد بدا ذلك واضحا وجليا في ثنايا وسياق سرد قصص القرآن الكريم، ولكن هذا البحث سيتخصص في الحديث عن قضية واحدة من تلك الحوارات، وهي ما كان بين الأزواج في الأسرة الواحدة. لقد أكد القرآن الكريم على ضرورة الحوار في مجال الأسرة الواحدة، وضرب على ذلك أمثلة عديدة، بين الآباء والأبناء، وبين الأزواج، وبين الإخوة، كل ذلك من أجل أن يؤكد على جعل الحوار منهجا أصيلا، ومرتكزا أساسيا في الأسرة والعائلة، لا يمكن تجاهله، ولا يجوز التغافل عنه.

والبحث هنا بعد أن يقرر ذلك المبدأ والمنهج القرآني، ألا وهو الحوار، سيستنبط القيم التربوية (الدينية والإنسانية والاجتماعية والأخلاقية) من خلال دراسة الحوارات الأسرية الزوجية التي قدمها القرآن كنماذج لنتعلم منها، ونستقي العبر والدروس والعظات التي تجعلنا نسير في الحياة على هدى وبصيرة، محققين السلم الأهلي والتعايش الإيجابي من جهة، وثابتين على القيم والأخلاق من جهة أخرى.

أهداف الدراسة:

للبحث أهداف مهمة عديدة، منها:

1. إبراز اهتمام القرآن الكريم بالقيم التربوية وضرورة التخلق بها، وبيان دورها في الحفاظ على ديمومة العلاقة بين الزوجين.
2. إظهار اهتمام القرآن الكريم باستقرار الأسرة وتماسكها من خلال التركيز على الحوارات الزوجية كمبدأ إنساني.
3. تقديم نماذج قرآنية من أجل الاقتداء بها في التطبيق السليم للحوار والتخلق بالقيم الحوارية.

4. توضيح دور الأسرة في تمثّل القيم الحوارية والتخلق بها، ومن ثم غرسها وتنميتها في أفرادها.

حدود الدراسة:

اختص هذا البحث بالحوارات الزوجية، فلم يختر من الحوارات الأسرية القرآنية إلا ما وجد فيه تبادلا في الحديث بين الأزواج فقط.

الدراسات السابقة:

لم أجد حسب علمي واطلاعي أحدا خص موضوع البحث بدراسة مستقلة، إلا أنني وجدت عددا من الدراسات يمكن الاستفادة منها بالإطار العام، ومن هذه الدراسات:

1. القيم التربوية في القصص القرآني قصة سيدنا يوسف، سعيد عبد الحميد محمود السعدني، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير من كلية التربية في جامعة عين شمس عام 1982م.
2. القيم التربوية في القصص القرآني، سيد أحمد السيد طهطاوي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير من كلية التربية في جامعة أسيوط عام 1986م.
3. القيم في القصص القرآني الكريم، عبد الله محمد أحمد حريري، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه من كلية التربية في جامعة طنطا عام 1988م.
4. القيم التربوية في القصص القرآني–زهراء أحمد عثمان الصادق، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه من كلية التربية في جامعة الخرطوم عام 2002م. وتحدثت بشكل مختصر عن قصة آدم، وموسى، ولقمان عليهم السلام.

والملاحظ في هذه الدراسات أنها ركزت على قصة أو أكثر من قصص الأنبياء في القرآن الكريم، وكان معظمها عبارة عن دراسات تحليلية إحصائية، لأن معظمها كتب في كليات التربية التي تعنى بهذا الجانب.

وأما دراستي فتتميز في تركيزها على موضوع محدد وهو الحوار بين الأزواج، وهذا يجعل النتائج أدق، كما أنها لن تركز على جانب واحد من القيم بل ستستنبط جلّ القيم الموجودة في ذلك الحوار القرآني، بالإضافة إلى أن تركيز البحث لن يكون على إحصاء عدد القيم، وإنما في الإفادة منها وكيفية غرسها في الأسرة المسلمة.

منهج البحث:

اعتمد البحث في دراسته على المنهج الاستقرائي التحليلي، بحيث قام الباحث بجمع المواضع التي تحدثت عن حوار دار بين طرفين أو فردين في الأسرة الواحدة في القرآن الكريم (الزوج مع زوجته)، ثم قام بدراستها، والتفكر فيها، والتدبر في معانيها ومراميها ومقاصدها، واستنباط القيم المطلوبة منها: التربوية والدينية والإنسانية والاجتماعية والأخلاقية.

خطة البحث:

تم تقسيم البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، وفيما يلي بيان المباحث :

المبحث الأول: القيم التربوية الواردة في حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع أزواجه.

المبحث الثاني: القيم التربوية الواردة في حوار امرأة العزيز مع زوجها.

المبحث الثالث: القيم التربوية الواردة في حوار امرأة فرعون مع زوجها.

ثم خاتمة وفيها النتائج والتوصيات.

تمهيد:

قبل أن نلج إلى مباحث الدراسة، يحسن أن نقدم تعريفا موجزا لمفردات العنوان، وهما الحوار والقيم.

أولا: مفهوم الحوار:

قال ابن منظور: " وَهُمْ يَتَحاوَرُون أَي يَتَرَاجَعُونَ الْكَلَامَ. والمحاوَرَةُ: مُرَاجَعَةُ الْمَنْطِقِ وَالْكَلَامِ فِي الْمُخَاطَبَة". (ابن منظور، لسان العرب: 218/4)

من خلال المعنى اللغوي يتضح أن الحوار هو تبادل الحديث بين طرفين أو أكثر، بهدف الوصول إلى مفاهيم مشتركة أو تقليل المشكلات ما أمكن.

والمقصود بالحوار الأسري: هو الحوار الذي يدور ضمن دائرة الأسرة الواحدة، بين الزوج وزوجته، أو الأب وأبنائه، أو الإخوة مع بعضهم بعضا.

واختار الباحث في هذه الدراسة النماذج الحوارية القرآنية التي دارت في الأسرة الواحدة بين الأزواج بعضهم مع بعض.

ثانيا: مفهوم القيم

عند الرجوع إلى معاجم اللغة، نجدها ذكرت معان عديدة للقيمة ومشتقاتها، من أهمها:

-القيمة : ثمن الشيء بالتقويم . يقال: كم قامت ناقتك، أي: كم بلغت . وقد قامت الأمة مائة دينار، أي: بلغ قيمتها مائة دينار. وفي الحديث، قالوا: يا رسول الله، لو قوّمت لنا، أي: لو سعرت لنا، وهو من قيمة الشيء، أي: حددت لنا قيمتها.

-القيام: العزم، ومنه قوله تعالى: "إِذْ قَامُوا فَقَالُوا ". (الكهف: 14) . والقيام: الثبات، ومنه قوله تعالى: " وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا". (البقرة: 19).

-الاستقامة: الاعتدال, يقال استقام له الأمر. ومنه قوله تعالى:" فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ" (فصلت: 6) أي: في التوجه إليه دون غيره. وقام الأمر واستقام: اعتدل واستوى. وقَوَّمْتُه:عدلته فهو قَويم و مستقيم.

-قِوام الأمر: نظامه و عماده و مِلاكُه الذي يقوم به و منه قوله تعالى: "...أموالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا" . (النساء: 5) .

-القَيِّمُ: المستقيم، ومنه قوله تعالى: " ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ". (الروم:29) أي الذي لا زيغ فيه ولا ميل عن الحق. وقوله تعالى: " فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ" (البينة:3)، أي مستقيمة تبين الحق من الباطل.

يتضح مما سبق تقديمه أن لفظ ''القيمة'' مرتبط بمادة «قَوَمَ» التي استعملت في اللغة لإفادة عدة معانٍ، منها: قيمة الشيء وثمنه، والاستقامة والاعتدال، ونظام الأمر وعماده، والثبات والدوام. (انظر: ابن منظور، لسان العرب: 12/224-229.)

ولعل أقرب الأقوال فيما نحن بصدده هو القول الأول، وقد بني المعنى الاصطلاحي على هذا المعنى اللغوي أساسا.

يقول صاحب المعجم الفلسفي: قيمة الشئ في اللغة هي قدره، وقيمة المتاع ثمنه. يقال: قيمة المرء ما يحسنه، وما لفلان قيمة، أي ما له ثبات ودوام على الأمر. والقيمة مرادفة للثمن، إلا أن الثمن قد يكون مساوياً للقيمة، أو زائداً عليها أو ناقصاً عنها. والفرق بينهما أن ما يقدر عوضاً للشئ في عقد البيع يسمى ثمناً له، الدراهم والدنانير وغيرها. على حين أن القيمة تطلق على كل ما هو جدير باهتمام المرء وعنايته، لاعتبارات اقتصادية أو سيكولوجية أو اجتماعية ، أو أخلاقية أو جمالية... ويطلق لفظ القيمة في علم الأخلاق على ما يدل عليه لفظ الخير، بحيث تكون قيمة الفعل تابعة لما يتضمنه من خيرية. فكلما كانت المطابقة بين الفعل والصورة الغائية للخير أكمل، كانت قيمة الفعل أكبر. (صليبا، جميل، المعجم الفلسفي: 2/212-213بتصرف.)

وبناء على هذا، فالقيم عبارة عن التصورات أو المعتقدات التي يحملها الفرد نحو الأشياء أوالمعاني، والتي تعمل على توجيه رغباته واتجاهاته نحوها، وتحدد له السلوك مقبولا أو مرفوضا. وبناء على هذا أيضا، فقد قسم العلماء القيم إلى إيجابية وسلبية، فإذا كان الفعل فيه خير، أو كان ما يحسنه خيرا، أو كان اهتمامه منصبا على الأمور الجيدة كانت القيمة لديه إيجابية، وإذا كان الفعل فيه شر، أو كان يحسن الشر، أو كان اهتمامه بالدنايا تكون القيم عنده سلبية.

وقد اعتمد الباحث هذا الرأي في دراسته، فهو يرجح بأن للقيمة قطبين، أحدهما إيجابي، والآخر سلبي، وأن القيمة السلبية ليست غيابا للقيمة الإيجابية، وإنما تمثل درجة الانحراف والتشوه للقيمة الإيجابية. (انظر: العوا، عادل،العمدة في فلسفة القيم، 390)

وتجدر الإشارة إلى أن ذكر القيمة الإيجابية؛ إنما يكون من أجل التخلق بها، والتشبه بمطبقيها، وأما السلبية فللتنفير منها، والتحذير من أصحابها.

ولا بد من التنبيه على أن منظومة القيم تتشكل من القيم الإيمانية والقيم الأخلاقية، والتي تعد اللبنات الأساسية في حياة الأسرة والأفراد، فالقيم الإيمانية هي المبادئ والأحكام والأصول الثابتة المستمدة من العقيدة، وتمثل الدستور الذي يحكم علاقة الفرد بربه، وهي من الثوابت التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان، والتي يجب أن يربى عليها الفرد، وتظل معه طوال حياته، أما القيم الأخلاقية فهي العادات الفطرية والمكتسبة، التي تصدر عنها أفعال الإنسان في علاقته مع الناس، وهي تستمد من القيم الإيمانية. أما عن السن المناسبة لغرس هذه القيم فقد أجمعت الدراسات التربوية، التي أخضعت مراحل عمر الإنسان للدراسة، قابليته للتربية في مرحلة الطفولة المبكرة والمتأخرة، بل قال بعضها أنها ممكنة قبل ذلك، وهو جنين في رحم أمه؛ إذ بها تكون لدى الطفل قابلية التعلم والتقليد، ومنها تتكون شخصيته. (شرار، نوال، دور الأسرة في تعزيز القيم).

المبحث الأول: القيم التربوية الواردة في حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع أزواجه رضي الله عنهن

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (28) وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا) الأحزاب: ٢٨ – ٢٩

ذكرت هذا الموقف القرآني من حوار رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أزواجه، رغم عدم ذكر القرآن لجواب أمهات المؤمنين؛ لأن جوابهن معروف ضمنا من سيرتهن، ولأنه ورد في صحيح السنة المفسرة للقرآن، فقد روى البخاري ومسلم – واللفظ له– عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : دخل أبو بكر يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجد الناس جلوسا ببابه لم يؤذن لأحد منهم ، قال : فأذن لأبي بكر فدخل ، ثم جاء عمر فاستأذن فأذن له ، فوجد النبي صلى الله عليه وسلم جالسا حوله نساؤه واجما ساكتا . قال : – فقال : والله لأقولن شيئا أضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقمت إليها فوجأت عنقها ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : هن حولي كما ترى يسألنني النفقة، فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها ، وقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها ، كلاهما يقول : تسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده ! فقلن : والله لا نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا أبدا ليس عنده . ثم اعتزلهن شهرا أو تسعا وعشرين ثم نزلت عليه هذه الآية : يا أيها النبي قل لأزواجك – حتى بلغ – للمحسنات منكن أجرا عظيما . قال : فبدأ بعائشة فقال : يا عائشة ، إني أريد أن أعرض عليك أمرا أحب ألا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك، قالت : وما هو يا رسول الله ؟ فتلا عليها

الآية .قالت : أفيك يا رسول الله أستشير أبوي ! بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة ، وأسألك ألا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت . قال : لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها ، إن الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا، ولكن بعثني معلما ميسرا". (– صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب {يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها، رقم الحديث 4785، وصحيح مسلم، كِتَاب الطَّلَاقِ، بَاب بَيَانِ أَنَّ تَخْيِيرَ امْرَأَتِهِ لَا يَكُونُ ... رقم الحديث: 2711.)

يقول السعدي في تفسيره: لما اجتمع نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم، وطلبن منه النفقة والكسوة، طلبن منه أمرًا لا يقدر عليه في كل وقت، ولم يزلن في طلبهن متفقات، وفي مرادهن متعنتات، شَقَّ ذلك على الرسول، حتى وصلت به الحال إلى أنه آلى منهن شهرًا.

فأراد الله أن يسهل الأمر على رسوله، وأن يرفع درجة زوجاته، ويُذْهِبَ عنهن كل أمر ينقص أجرهن، فأمر رسوله أن يخيرهن فقال: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا } أي: ليس لكن في غيرها مطلب، وصرتن ترضين لوجودها، وتغضبن لفقدها، فليس لي فيكن أرب وحاجة، وأنتن بهذه الحال.{ فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ } شيئا مما عندي، من الدنيا { وَأُسَرِّحْكُنَّ } أي: أفارقكن { سَرَاحًا جَمِيلًا } من دون مغاضبة ولا مشاتمة، بل بسعة صدر، وانشراح بال، قبل أن تبلغ الحال إلى ما لا ينبغي.

{ وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ } أي: هذه الأشياء مرادكن، وغاية مقصودكن، وإذا حصل لَكُنَّ الله ورسوله والجنة، لم تبالين بسعة الدنيا وضيقها، ويسرها وعسرها، وقنعتن من رسول الله بما تيسر، ولم تطلبن منه ما يشق عليه، { فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا } رتب الأجر على وصفهن بالإحسان، لأنه السبب الموجب لذلك، لا لكونهن زوجات للرسول فإن مجرد ذلك، لا يكفي، بل لا يفيد شيئًا، مع عدم الإحسان، فخيَّرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك، فاخترن الله ورسوله، والدار الآخرة، كلهن، ولم يتخلف منهن واحدة، رضي الله عنهن.

وفي هذا التخيير فوائد عديدة:

منها: الاعتناء برسوله، وغيرته عليه، أن يكون بحالة يشق عليه كثرة مطالب زوجاته الدنيوية.

ومنها: سلامته صلى الله عليه وسلم، بهذا التخيير من تبعة حقوق الزوجات، وأنه يبقى في حرية نفسه، إن شاء أعطى، وإن شاء منع{مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ }

ومنها: تنزيهه عما لو كان فيهن، من تؤثر الدنيا على الله ورسوله، والدار الآخرة، وعن مقارنتها.

ومنها: سلامة زوجاته، رضي الله عنهن، عن الإثم، والتعرض لسخط الله ورسوله.

فحسم الله بهذا التخيير عنهن، التسخط على الرسول، الموجب لسخطه، المسخط لربه، الموجب لعقابه.

ومنها: إظهار رفعتهن، وعلو درجتهن، وبيان علو هممهن، أن كان الله ورسوله والدار الآخرة، مرادهن ومقصودهن، دون الدنيا وحطامها.

ومنها: استعدادهن بهذا الاختيار، للأمر الخيار للوصول إلى خيار درجات الجنة، وأن يَكُنَّ زوجاته في الدنيا والآخرة.

ومنها: ظهور المناسبة بينه وبينهن، فإنه أكمل الخلق، وأراد الله أن تكون نساؤه كاملات مكملات، طيبات مطيبات { وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ }

ومنها: أن هذا التخيير داع، وموجب للقناعة، التي يطمئن لها القلب، وينشرح لها الصدر، ويزول عنهن جشع الحرص، وعدم الرضا الموجب لقلق القلب واضطرابه، وهمه وغمه.

ومنها: أن يكون اختيارهن هذا، سببًا لزيادة أجرهن ومضاعفته، وأن يَكُنَّ بمرتبة، ليس فيها أحد من النساء.

(السعدي، تفسير السعدي، 6-28)

قال ابن كثير: "هذا أمر من الله لرسوله ، صلوات الله وسلامه عليه ، بأن يخير نساءه بين أن يفارقهن ، فيذهبن إلى غيره ممن يحصل لهن عنده الحياة الدنيا وزينتها ، وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال ، ولهن عند الله في ذلك الثواب الجزيل ، فاخترن ، رضي الله عنهن وأرضاهن الله ورسوله والدار الآخرة ، فجمع الله لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة ". (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم،6، 481)

وهذا الموقف الحواري ذكره القرآن الكريم بالرغم من خصوصيته وحساسيته، إذ إنه يتعلق بشخص رسول الله وما يحصل بينه وبين أزواجه في بيوتهن من نقاش وحوارات، وهو حوار دقيق في قضية خطيرة، وكثيرا ما تتكرر في بيوت المسلمين، وهذا يدل على أهمية الحوار، فالله تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بمحاورة أزواجه والنقاش معهن قبل أن يأخذ قراره بشأنهن .

وما يهمنا في هذا البحث بيان القيم التربوية من هذا الحوارا، وهنا قيم عديدة، ينبغي التخلق بها وغرسها في النفوس، ومنها: تقديم الآخرة على الدنيا، وهي قيمة إيمانية عظيمة ينبغي أن تزرع في نفس كل فرد من أفراد الأسرة المسلمة، وخاصة الزوجة لما لها من مكانة ومنزلة، ولما ينتظرها من مسؤولية الأمومة وتربية الأولاد، وهي استحضار أن ما عند الله خير وأبقى، واستشعار أن الآخرة خير من الأولى، وتفضيل الآخرة الباقية على الدنيا الزائلة الفانية، وعلى الزوجة إن خيّرت بلسان الحال أو المقال بين الآخرة والدنيا، فعليها أن تختار الآخرة العليّة على الدنيا الدنيّة؛ اقتداء بأمهات المؤمنين رضي الله عنهن.

كما أنها تبرز قيمة الصبر، وهو هنا صبر خاص، وهو صبر الزوجة على زوجها، إن كان ذا خلق ودين، ولم يكن عنده من النفقة والمال ما يستطيع أن يرفهها ويمتعها، لكنه يوفر لها الحاجات الأساسية الضرورية التي لا يستغنى عنها، فعندها ينبغي أن تصبر عليه وعلى الحياة معه مفضلة الآخرة وما معه من خلق ودين على الدنيا وما فيها من متاع، وهذا درس للزوجات في غاية الأهمية، فكثير من الزوجات في واقعنا المعاصر تكثر الشكوى والتذمر من سوء حال زوجها وفقره، ولا تصبر على شظف العيش معه، رغم سعيه الحثيث على الرزق، ورغم أخلاقه الحسنة معها والتزامه

بدينه، وقد سمعنا عن بعض النساء أنها طالبت زوجها بما لا يستطيع فحمله ذلك على أخذ الحرام والتعامل بالربا، ومن الأمثلة على ذلك من تطلب من زوجها وتلح عليه ببيت مستقل واسع، فيضطر إلى أن يقترض من البنوك الربوية ليحقق لها ذلك، فتدفعه إلى الحرام دفعا، عندها نقول لها بيت صغير أو بالأجرة خير من بيت كبير مستقل بني بالحرام، فيجب عليك أن تصبري وتفضلي الآخرة على الدنيا ولا تدفعيه إلى ذلك الفعل الأثيم. وكذلك، نقول للزوج اقتد برسول الله صلى الله عليه وسلم فارفض الحرام وفضل الآخرة على الدنيا مهما كان الثمن، وحاورها وأقنعها بالحجة مع اللين والترفق. وإن تلاوة هذه الآية عليها، إن كانت امرأة ملتزمة متدينة، يجعلها تقف عند حدود الله، وذلك من أهداف إيرادها.

ومن القيم المهمة التي يبرزها هذا الحوار، قيمة القناعة والرضا، فالله سبحانه وتعالى قسم الرزق بين عباده بحكمته، فجعل منهم الغني والفقير، وأمرهم أن يقنعوا بما آتاهم ما داموا قد أخذوا بالأسباب ولم يقصروا أو يتكاسلوا ، كما قال تعالى: ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله " فينبغي لمن أراد أن يطهر قلبه ويعيش في سكينة وهدوء وراحة بال أن يرضى بما قسمه الله له ولا ينظر إلى من هو فوقه، وهذه القيمة لا تختص بالنساء دون الرجال، فالزوج مطالب بها، والزوجة كذلك، ويجب عليهما في سيرهما في مصاعب الحياة ومشاغلها أن لا ينسوا هذه القيمة، بل يجب أن يزرعوها في نفوس أبنائهم وبناتهم أيضا. ومن القيم المهمة هنا، التعامل بأفضل الأخلاق في حال الفراق، فالرسول صلى الله عليه وسلم بالرغم من غضبه من أزواجه وهجرهن شهرا إلا أنه عندما خيرهن بين البقاء معه مع الصبر على حاله أو فراقه، فإنه قال لهن إن اخترن الفراق بأنه سيمتعهن ويسرحهن سراحا جميلا، وما أعظم هذا الخلق! فالتعامل بالأخلاق الحسنة في حال الخير والمعروف والمحبة والمودة شيء جميل وحسن، ولكن التعامل بالأخلاق الفاضلة في حال النزاع والشقاق والفراق والغضب أمر في غاية الإعظام والإجلال.

ولذلك نرى كثيرا من الأزواج والأسر يتعاملون معا بأسلوب لطيف وجميل، ولكن إذا حصلت مشكلة بينهم، فإنهم ينسون الأخلاق، ويبدأون بالسب والشتم ونشر الحقد والكراهية، وفضح عيوب الطرف الآخر، وأكل حقوق الزوجة من نفقة ومهر، وغير ذلك مما ينهى القرآن والإسلام عنه، وقد قال تعالى مخاطبا الأزواج وأولياءهم في هذا الشأن وفي هذه الحالة: " وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم " . فكيف ينسى الزوج فضل زوجته عليه في سابق الأيام، وكيف تنسى الزوجة فضل زوجها عليها في سالف الأعوام؟ هذه قيم عظيمة: وهي الوفاء والاعتراف بالجميل وعدم نسيان الفضل حتى في حال النزاع والشقاق، ولا يقدر على ذلك إلا من ربى نفسه على أفضل الأخلاق والقيم، وزكاها وطهرها من الصفات القبيحة والرذيلة.

المبحث الثاني: القيم التربوية الواردة في حوار امرأة العزيز مع زوجها

قال تعالى : " وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (25) قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (26) وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (27) فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (28) يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ " **يوسف**: ٢٥ – ٢٩(29)

تظهر هذه الآيات الكريمات موقفا حواريا بين زوجة وزوجها في أسوء اللحظات التي يمكن أن يحاور زوج زوجته فيها، وهو موقف خيانة الزوجة لزوجها، واكتشافه ذلك بأم عينه، ثم اتهام الرجل البريء بتلك الجريمة الشنيعة، وما تلا ذلك من محاكمة أدت للحكم ببراءته، ثم سجنه بالرغم من ذلك، وعدم عقاب المدبر لها.

وإذا أردنا أن نتحدث عن امرأة العزيز وزوجها فقط؛ لأن البحث هنا يختص بحوار الأزواج فقط، فقيمة العفة عند يوسف عليه السلام واضحة جلية. أما امرأة العزيز فالآيات تظهر كم هي ممتلئة بالقيم السلبية، فهي بالإضافة إلى شهوانيتها، لم تتردد بالكذب على زوجها، وكأنها معتادة عليه، إذ كان جوابها حاضرا جاهزا، لا تشعر بتلعثمها وتباطئها، فقد فعلت فعلتها ولما تفاجأت بانكشاف أمرها، بادرت باتهام غيرها زورا وبهتانا، فهي بذلك كاذبة وظالمة، كذبت لأنها هي التي دبرت لهذه الفعلة، وهي من أرادت يوسف بالسوء، وظالمة لأنها اتهمته بذلك من أجل أن تنجو بنفسها، وتظهر في عين زوجها بأنها بريئة، وظالمة لزوجها لأنها حاولت خيانته ولم تحفظ عهده وميثاقه، ثم زادت في ظلمها باقتراح سجنه وتعذيبه. وهذا في ظاهره عقاب ليوسف لمراودته لها، وفي باطنه عقاب له لأنه لم يستجب لها.

والكذب والظلم قيم سلبية ينبغي للزوجات أن يحذروا منها، فالمجتمع يظن أن الظلم يكون من الزوج لزوجته فقط، ولكن هذا ليس صحيحا، والقرآن أراد أن يظهر هذا، وأما الكذب فالجميع يشترك فيه. وصحيح أن القصة القرآنية هذه أظهرت ذلك في موقف كبير الخطب والخطر، ولكن ليس معنى ذلك أبدا التقليل من شأنه في المواقف الحياتية الأخرى، فالكذب ضرره عظيم، والظلم مرتعه وخيم، في كل زمان ومكان وموقف.

والحياة الزوجية ينبغي أن تبنى على الصدق من أول يوم، فكم سمعنا قصصا تسببت بتفكك الأسر بسبب ذلك، فهذه فتاة خدعت خاطبها بشعرها ولون عيونها ورموشها شهورا، ثم لما تبين له ذلك طلقها، وزوجة كذبت على زوجها حماية لأطفالها حتى لا يؤدبهم، ثم كبروا فصاروا يؤذونها ولا يحترمونها بل ويضربونها. والقصص في ذلك أكبر وأكثر من أن تحصى، ويجب على من اتصف بها أن يتقي الله فيصدق ويصدق ويتحرى الصدق دوما وأبدا، والصدق منجاة، ولا ياتي إلا بخير.

وأما عن الظلم، فكم زوجة تظلم زوجها حينما لا تعطيه حقه الواجب شرعا منشغلة بعملها أو بيتها أو أولادها حتى يشعر بأنه شيء هامشي في حياتها بدلا من أن يكون أساسها، وكم شكى الأزواج من ذلك فصاروا يفكرون بالطلاق أو بالتعدد إذا كان عندهم أولاد، وزوجات أخر أخطأن خطأ ما، فاتهمت الخادمة به أو إحدى جاراتها أو قريباتها حتى تنجو هي بنفسها، ثم انكشف الأمر –وغالبا ما ينكشف ولو بعد حين–ترتب على ذلك عداء وقطع للأرحام وأواصر الجيرة والقربى، والأمثلة في واقعنا كثيرة، ولذلك ينبغي عليهن أن يتقين الله عز وجل.

ولا يظنن ظان أني أبرئ الأزواج من ذلك وأتحيز لهم، فالظلم حرام وإثم على الزوجين، ولكن لأنه معروف للمجتمع، سلطت الضوء هنا على ما هو غير مشهور، وما يناسب القصة القرآنية التي نحن بصددها، حيث كانت الزوجة هي الظالمة.

وأما الزوج فقد كان يتخلق بقيمة سلبية جدا، إذ انتفت الغيرة من نفسه، فقد تكشف الأمر وبان ورغم ذلك فلم يكن الجزاء إلا مجرد القول ليوسف المظلوم أن يعرض ويصفح، ولها أن تستغفر لذنبها فقط. (هذا على ترجيح أن القائل هو الزوج وليس الشاهد. انظر: تفسير البغوي، 235/4).

وربما يسأل سائل: لم لم نعدّ هذا التصرف قيمة إيجابية، إذ تحمل شعار الصفح والتسامح، فالجواب: أن التسامح يكون إيجابيا إذا لم يكن فيه ظلم للغير، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فلم يكن التسامح هنا من أجل الصفح عن الذنب بعد الاعتراف به والندم عليه، وإنما لعدم القدرة على إيقاع العقوبة عليها لأنها من علية القوم، فإذا ما أضفنا إلى ذلك: ما فعلته من جمع للنسوة وتهديد له بوجوب تنفيذ ما تريد، فهذا يدل على إصرارها وعدم ندمها، وهذا يؤكد أن هذا ليس من قبيل التسامح المحمود، وإنما تغافل عن الخطأ مذموم، وكل ذلك بسبب ضعف الغيرة عند العزيز وانتفاء معاني الشهامة لديه.

يقول سيد قطب: وهنا تبدو لنا صورة من الطبقة الراقية في الجاهلية قبل آلاف السنين وكأنها هي هي اليوم شاخصة. رخاوة في مواجهة الفضائح الجنسية؛ وميل إلى كتمانها عن المجتمع، وهذا هو المهم كله... اللباقة في مواجهة الحادث الذي يثير الدم في العروق. والتلطف في مجابهة السيدة بنسبة الأمر إلى الجنس كله، فيما يشبه الثناء. فإنه لا يسوء المرأة أن يقال لها: إن كيدكن عظيم! فهو دلالة في حسها على أنها أنثى كاملة مستوفية لمقدرة الأنثى على الكيد العظيم!

والتفاتة إلى يوسف البرئ: {يوسف أعرض عن هذا}

فأهملْه ولا تُعِرْه اهتماماً ولا تتحدث به.. وهذا هو المهم.. محافظة على الظواهر!

وعظة إلى المرأة التي راودت فتاها عن نفسه، وضبطت متلبسة بمساورته وتمزيق قميصه:

{واستغفري لذنبك. إنك من الخاطئين}..

إنها الطبقة الأرستقراطية، من رجال الحاشية، في كل جاهلية. قريب من قريب!
ويسدل الستار على المشهد وما فيه.. وقد صور السياق تلك اللحظة بكل ملابساتها وانفعالاتها ولكن دون أن ينشئ منها معرضاً للنزوة الحيوانية الجاهرة، ولا مستنقعاً للوحل الجنسي المقبوح! (سيد قطب، في ظلال القران، 4– 979)

المبحث الثالث: القيم التربوية الواردة في حوار امرأة فرعون مع زوجها

قال تعالى: " وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ".
القصص: ٩

تظهر هذه الوقفة الحوارية بالرغم من قصرها قيما عديدة مهمة، وقد عددتها حوارا لأن فرعون أجاب طلبها ووافقها وإن لم تذكر الآية هذه جوابه، فقد تبين ذلك في غيرها من الآيات.

فأما الأولى فهي قيمة الرحمة، فما ذنب طفل رضيع حتى يقتل، يقول ابن عاشور: " نظم الكلام قضى بهذا الترتيب البليغ بأن جعل الوازع الطبيعي عن القتل وهو وازع المحبة هو المقدِّمة لأنه أشدّ تعلقاً بالنفس فهو يشبه المعلوم البديهي . وجعل الوازع العقلي بعد النهي علةً لاحتياجه إلى الفكر ، فتكون مهلة التفكير بعد سماع النهي الممهد بالوازع الطبيعي فلا يخشى جماح السامع من النهي ورفضه إياه" (ابن عاشور، التحرير والتنوير 21–78) . وقد غرس الله الرحمة في قلب النساء ليكنّ أمهات صابرات على تربية الأولاد ورعايتهم. وبالرغم من أن هذه الصفة هي الغالبة على النساء عموما، لكننا للأسف صرنا نجد منهن من يمكن أن تقتل جنينا أو رضيعا خشية العار أو خوف المشقة، وهن اللواتي يبحن الإجهاض لأنفسهن بعد نفخ الروح في الجنين، وقد كنت أتساءل كثيرا عندما أقرأ قوله تعالى في آية بيعة النساء، حيث بايعهن رسول الله صلى الله عليه وسلم :" ولا يقتلن أولادهن" فأقول: هل يمكن أن تقتل أم طفلها؟ وها قد صرنا نجد ذلك بأم أعيننا في واقعنا المعاصر، وهذا من انعدام صفة الرحمة في قلوبهن.

وأما الثانية فهي قيمة الاحترام، احترام الزوجة لزوجها، فقد بينت الآية أن امرأة فرعون ناقشته وطلبت منه ورجته وبررت ذلك حتى يقبل، وهكذا ينبغي أن تكون العلاقة بين الزوجين، علاقة احترام، ومن لا تحترم زوجها فكيف تطلب منه احترامها وتلبية رغباتها، فهذا فرعون وبالرغم من قساوته وجبروته وطغيانه إلا أنه قبل رجاءها ووافق على طلبها، لما وجد الأسلوب مناسبا، والموقف مؤثرا.

وأما الثالثة: فهي استغلال قيمة الخير في نفس الإنسان، فلا يوجد شر محض أو شر مطلق في نفس الإنسان، ففرعون المجرم الطاغية استسلم لغريزة حب الولد في نفسه ونفس زوجته، ورحم ذلك الطفل فلم يقتله، فتبين من هذا أنه مهما كان الإنسان شريرا، إلا أنه قد يكون عنده بذرة من خير، في زاوية من الزوايا، أو ناحية من النواحي، فإذا استثمرت

أثمرت، وإذا استغلت نفعت، ولذلك قال تعالى لموسى وهارون عليهما الصلاة والسلام لما بعثهما لفرعون:" فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى" ، وفي هذا درس لمن ابتليت بزوج عاص أو فاسق، فلن يكون أشد من فرعون، فإذا بحثت تلك الزوجة عن بذرة الخير ونقطة الضعف في نفسه، فلعلها تنفذ منها إلى ما ترجوه من خير له ولدينه أولا، ثم لها ولأولادها ثانيا. وليس معنى ذلك هضم حقها، فقد شرع الله الطلاق، ولكن ما ذكرناه نفع وينفع في بعض الحالات، وهو بلا شك أفضل من تفكك الأسرة وتفسخها.

الخاتمة :

فيها النتائج والتوصيات:

النتائج :

1. امتلأ القرآن الكريم بالحوارات الأسرية التي تكون في الأسرة الواحدة مابين الأبناء والآباء، وهذا يدل على اهتمام القرآن بالحوار كمبدأ إنساني.
2. حفلت الحوارات الأسرية القرآنية بين الآباء والأبناء بالقيم الدينية والإنسانية والاجتماعية والتربوية التي تفيد جميع أفراد الأسرة في دنياهم وآخرتهم.
3. قدم القرآن نماذج إيجابية من أجل الاقتداء بها في التطبيق السليم للحوار والتخلق بالقيم بجميع أنواعها، وقدم نماذج أخرى سلبية لم تلتزم بالحوار ولا بالقيم الإيجابية من أجل التنفير والتحذير منها.
4. يجب على كل فرد من أفراد الأسرة–وخاصة الآباء– تمثّل القيم الحوارية والتخلق بها وتنميتها؛ لخلق أسرة وجيل مؤمن بالحوار قناعة وممارسة.
5. عالج القرآن موضوع الحوار الأسري والقيم منذ بدء الخليقة إلى زمن رسول الله لتقرير حقيقة أن الإنسان هو الإنسان والأسرة هي الأسرة ، فنأخذ منها الدروس والعبر إلى واقعنا المعاصر، فلا نجدها تتخلف عما ذكره القرآن الكريم.

التوصيات:

1. ينبغي على كل فرد في الأسرة المسلمة أن يتعمق بدراسة القصص القرآني، ليستلهم منها القيم التي ستفيده في حياته الأسرية.
2. يجب على الدعاة والأئمة والخطباء أن يركزوا في دروسهم ومواعظهم وخطبهم على تثبيت مبدأ الحوار الأسري، وعلى غرس القيم في نفوس أبناء الأسر المسلمة.
3. تخصيص سلسلة رسائل جامعية تعنى باستنباط القيم من كل سورة قرآنية، ومن خلال المواضيع القرآنية كذلك، وفق منهج مدروس وواضح المعالم.

4. تشكيل لجنة من علماء التفسير لكتابة تفسير قرآني خاص بالقيم ولعله أن يسمى:" التفسير القيمي للقرآن الكريم".

المراجع

Ibn ʿĀshūr, Muḥammad Al-Ṭṭāhir, Al-Ttaḥrīr wa Al-Tanwīr, (Tunis: Dār Saḥnūn,1997).

ʿAwwa, ʿādel, the Mayor of the Philosophy of Values, Dār Tlass, Damascus-Syria, I, 1986.

Al-Baghawī, Al-Husayn bin Masʿūd, Tafsīr Albaghawī, investigated by Muhammad ʿAbdullāh, Uthman Jumʿa and Sulayman Muslim, Dār Taibah.

Al-Bukhārī, Ṣaḥīḥ Al-Bukhārī, (Egypt: Maktaba Al-Īmān, 2003)

Ibn Manẓūr, Jamāluddīn Muhammad bin Makram, Lanson al-Arab, Dār Sader, 2003.

Muslim, Ṣaḥīḥ Muslim, (Bayrūt: Dār Al-Fikr,2001).

Qutub, Sayyid, Fī ẓilāl al-Qur'ān, (Bairūt: Dār Īḥya' Al-Tturāth Al-ʿarabī.1971).7st.

Ibn Kathīr, Ismāʿīl bin ʿumar, Tafsīr Al Qur'an Al adzīm, investigated by Samī Salama, Dār Taiba, 2002-1422 .

Al-Saadī, ʿAbdul Rahmān bin Nāsir bin ʿAbdullāh, Taysīr Al-Karīm Al-Rahmān fī Tafsīr kalām Al-Mannān, investigated by: Abdul rahmān bin Muʿallā Al-Luhaiq, Al-Risala Foundation Edition: First 1420 -2000.

Salibā, Jamīl: The Philosophical Dictionary Part II, The Lebanese Book House, Bayrut. 1982.

Sharār, Nawāl, The Role of the Family in Promoting Values, a workshop held by the Global Forum for Moderation on 9-6-2014, entitled: Strengthening the Value System in Society.

Ahmed Abedalqader Hasan Qatanany (Corresponding Author)
Fakulti Pengajian Quran dan Sunnah,
Universiti Sains Islam Malaysia,
Bandar Baru Nilai, 71800 Nilai,
Negeri Sembilan
Email: ahmadqatanany@usim.edu.my